عدد الحركى غداة استقلال الجزائر تجاوز مليون خائز

المجاهد لخضر بورقعة

(الحلقة الثانية)

- ضباط فرنسا التحقوا بالثورة ضمن مخطط الاستيلاء على الحكم
- مجاهدون توفوا في السجون بعد الاستقلال بتهمة تصفية الخونة!
- عائلات كانت تحتفي بعودة "الحركى" على طريقة استقبال حجاج بيت الله!
- جمعنا "الحركى" في الثكنات والسجون حماية لهم من الانتقام ولنحاكمهم لاحقا، لكنهم فلتوا من العقاب العادل بفعل الفوضى السائدة.

مراجعة و التهميش و التقديم

Khalid jokr

Khalid jokr

حاوره: عبد الحميد عثماني

معلوم أن فرنسا إثر وقف إطلاق النار ركزت على نقل المعمرين الأوروبيين وتخلت عن "الحركى" باستثناء 5 من كبار العملاء، كيف هرب الآخرون وماذا كان مصير الباقين منهم هنا في جزائر الاستقلال؟

المؤكد أن اعيان "الحركى" تمكنوا من الفرار واللحاق بجحافل الاستعمار، وحملوا معهم المئات من أعوانهم ومقربيهم وذويهم من البداية، مثل الباشاغا بوعلام[1] الذي رافقه عدد هائل من ناحية الشلف، وغيره كثير في الواقع، فيما هرب الالاف ايضا في وقت لاحق عبر موانئ الجزائر المختلفة، لقد كانت الفترة الانتقالية التي طبعتها الفوضى والانقلاب على شرعية الحكومة المؤقتة (62 –63)، حيث طغى الصراع على السلطة، في غضون تلك الاشهر الساخنة والمتوترة، استغل هؤلاء الفرصة السانحة وحقبوا أمتعتهم نحو فرنسا تحديدا، لكن عددا معتبرا كذلك لم يغادر البلاد.

ماذا كان مصيرهم، خصوصا أن هناك روايات كثيرة تتحدث عن تصفيات انتقامية طالتهم من طرف ذوي الضحايا والأسرة الثورية بشكل عام؟

هذا الكلام غير صحيح وتم ترويجه بهدف الإساءة إلى الثورة واستعمال ورقة "الحركى" ضد الجزائر، شخصيا لم اشاهد ولا سمعت عن أي عمليات تصفية مبرمجة ضدهم، الا اذا كان في اطار فردي ومحدود، اؤكد لك أنه لم يصدر اي قرار لا مركزيا ولا محليا بهذا الخصوص مطلقا، بل بالعكس تماما، حين وقعت بعض التصفيات الفردية ضد بعضهم، بادرت قيادات الولايات بعزل "الحركى" في الثكنات والسجون لاسيما المشهورين منهم، حماية لهم من الانتقام، وعاد جزء من هؤلاء إلى ممارسة حياتهم بشكل عادي فيما بعد، وبعضهم ذهب للمشاركة في رد العدوان المغربي على حدودنا الغربية.

---

[1] سنفصل له مقالا لاحقا

Khalid jokr

فيما يخص قضية الحماية بالذات، هل صحيح ان بن بلة وبومدين اصدرا تعليمات اليكم بخصوص تأمين حياة "الحركى"، وما خلفية ذلك؟

لم نتلق أي تعليمات من أي طرف، لكن تصرفاتنا مع "الحركى" كانت منسجمة مع مضمون اتفاقيات ايفيان من جهة، حتى نحترم انفسنا أولا. ومن جهة اخرى، كان تفكيرنا ينطلق من التأسيس لسلطة العدالة، لاننا اردنا ان نعطي الفرصة حتى تتهيكل الدولة الجديدة بمؤسساتها، ثم تحاكم هؤلاء وتطبق القانون، بدل اشاعة الفوضى من خلال الاعمال الانتقامية بشكل فردي قد تكون مظالمها اسوا، لكن للاسف هرم سلطة الثورة، ادخل البلاد في مرحلة الفوضى، وبالتالي فلت هؤلاء من العقاب العادل[2].

هل صحيح أن بعض "الحركى" ممن حاولوا العودة، اعتقادا منهم أن الجزائريين قد نسوا القضية، لقوا مصرعهم في السبعينات؟

لا، لا... لم اسمع بمثل هذه الوقائع، وان حصلت فلظنها محدودة جدا، وربما لا تتعدى اصابع اليد الواحدة، لكن الذي اعلمه واؤكده، ان عودة هؤلاء جوبهت باحتجاجات واسعة من طرف المجتمع، واعطيك احداثا اعرفها جيدا في مليانة والبرواقية مثلا، احتج السكان ضد المسؤولين على دخول "الحركى" الى مناطقهم، لكن لم تحدث عمليات تصفية او اعتداءات جسدية.

وهل تم دخولهم إلى الجزائر بصفة نظامية؟

نعم، جزء منهم عاد إلى أرض الوطن عبر الموانئ والمطارات والحدود، ويوجد من دون شك من ساعدهم في ذلك، من اقاربهم ومعارفهم، بل الاسوا والمخزي، ان بعض العائلات كانت تحتفي بقدوم ذويها من "الحركى" كما يستقبل عامة الجزائريين الحجيج العائدين من بيت الرحمان، وانا اعرف احد الخونة قتل 14 مجاهدا خلال الثورة، دخل الجزائر ورافقه اهله في موكب احتفالي، بل رافقوه إلى المقبرة للوقوف على قبر والده الذي كان هو الاخر حركيا خائنا، ما اثار حفيظة

[2] اشك فيما يقوله المجاهد بورقعة هنا حول الانتصار لاستكمال تشكل الدولة لتنفيذ القانون على الحركى لانني اضن انه اجاب على هذا السؤال عندما حدد اتفاقيات افيان بمنع التعرض لهؤلاء

المواطنين ودفع بهم الى الخروج إلى الشارع للاحتجاج على هذا السلوك الاستفزازي، ففر هاربا بجلده[3].

سمعت من روايات متواترة ان مجاهدين دخلوا السجن بتهمة قتل الحركى بعد الاستقلال، هل تؤكد هذه المعلومة؟

للاسف هذا ما حصل، وانا شخصيا حينما نقلت إلى سجن لامبيز بباتنة في 1970، وجدت مجاهدين مسجونين هناك، وكنت اعتقد قبل ذلك انهم سقطوا شهداء في ساحة الشرف، لاصدم حين اكتشفت انهم كانوا خلف القضبان منذ 1962، واذكر لك مثلا: المجاهد عبد القادر مطرف من مليانة، وهو ابن شهيد وامه استشهدت كذلك، قام بتصفية "حركي" كان قد قتل والديه في زمن الثورة، فحبس وظل في السجن حتى توفي في لامبيز، وعاشور رحماني ايضا من بريكة، كان في منطقتنا وحكم عليه بالاعدام من طرف فرنسا، وقمنا بتهريبه من سجن البليدة، ولم نلتق من وقتها الى ان قابلني في سجن لامبيز في السبعينيات فتقدم نحوي ليسلم علي، فلم اتعرف عليه، حتى ذكرني باسمه وقال لي: "انا عاشور رحماني"، فاستغربت الامر، وبادرته بالسؤال: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ فلجابني بحسرة: انهم ادخلوه السجن بسبب اقتصاصه من "حركي" قتل والده خلال الثورة[4].

ووفق أي قانون زُجّ بهؤلاء المجاهدين في السجن؟

للأسف تم اعتقالهم في عهد الحكومة المؤقتة بتهمة قتل "الحركى"، لكنهم أهملوهم وتركوهم في السجون دون محاكمة ولا حريّة، وبعضهم توفّي في محبسه، وحينما تولّى بوعلام بن حمودة وزارة العدل، راسلته شخصيّا عن طريق واسطة، وقلت له: "لا أريدك أن تتدخل لصالحي لأني فعلتها.. لكن أطلب منك أن تفرج عن المجاهدين الموقوفين منذ 1962 دون ملفات قضائية"، وأرفقت رسالتي بقائمة هؤلاء المحبوسين، لكن الوزير لم يردّ على رسالتي حينها.

---

[3] و ها هو ذا المجاهد بورقعة يناقض نفسه حول احترام اتفاقيات افيان فكيف تم دخول هؤلاء الحركى و انتم على علم بهم و لم تحاكموهم

[4] هذا مثال اخر على تطبيق تعليمات فرنسا في جزائر مجاهدي ما بعد الثورة

عرفنا تعامل السلطة الجديدة وقيادات الولايات التاريخية مع "الحركى"، بالنسبة للشعب في ذلك الوقت، هل كان متسامحا مع هذه الشريحة التي تسببت في ماسيه وجراحه الغائرة؟

قطاع واسع في الشعب كان يريد الانتقام لشهدائه، ولكنه احترم اوامر القيادة الثورية التي كان لها حضور معنوي وسياسي كبير وسط المجتمع، اما في البداية فقد هم الكثير بالهجوم على مراكز تجميع "الحركى" بنية القتل والتصفية.

انت تطرقت إلى نقطة مهمة قبل قليل تتعلق ببعض "الحركى" الذين خدموا الثورة من داخل النظام الاستعماري، نريد ان توضح لنا ذلك، هل كان العمل مهيكلا ام مبادرات فردية بطابع انساني؟

نعم هذا موجود رغم انهم كانوا قلة، لكن كان هناك متعاونون مع الثورة من داخل "الحركى" انفسهم، وهم فئتان: الاولى "حركى" في اصلهم تم توظيفهم لصالح الثورة، والثانية مجاهدون دفعت بهم القيادة بشكل سري جدا لاختراق جبهة العدو، حتى ان بعضهم يدفع حياته في تلك المغامرة الثورية، وقد حصل معي شخصيا، حيث اخترت احسن مجاهد اثق فيه، ويمكنني اقناعه بسهولة لاداء المهمة ثم العودة الى صفوفنا في الوقت المناسب، اذ ادعى هذا الاخير امام الفرنسيين انه قضى على المحافظ السياسي زيتوني الذي كان مطلوبا من طرف سلطات الاستعمار في المنطقة، فقبلوه بينهم ووثقوا فيه، ليتحول بذلك الى عين للولاية الرابعة على تحركات الجيش الفرنسي وعملائه، يزودنا بكل المعلومات الضرورية، لكن العملية فشلت، لانه لم يطق تحمل الوضع الجديد مع "الحركى"، حيث ابت نفسه الثورية ان يتصل بالسكان بصفته خائنا ويخطب في الاسواق وبين الشعب ضد المجاهدين، فهرب حاملا معه 3 بنادق رشاشة من نوع " mat 49 " ، لكنه حينما هرب عائدا للثوار، قابله مجاهدون لم يكونوا على علم بتكليفه من طرفي بالاندساس في صفوف العدو، فقتلوه، اعتقادا منهم أنه تنكر من قبل للثورة وجاء الان للتجسس عليهم، لاني الوحيد الذي كنت على علم بتفاصيل المهمة الموكلة اليه.

نعود إلى قضية مثيرة للجدل في ملف "الحركى"، وتتعلق بالعسكريين الذين التحقوا بصفوف ثورة التحرير في منتصف الطريق، وبعضهم في اللحظات الاخيرة من عمرها، هل استقبلتهم القيادات

بطمانينة ام ارتابت منهم، هل اندمجوا مباشرة في صفوفها ام مكثوا مدة تحت المراقبة، وكيف تم التحاقهم اصلا على المستوى التنظيمي والعسكري؟

هذا الموضوع اسال حبرا كثيرا، يجب ان نفرق اولا بين مستويين من هؤلاء، الفريق الاول هم نخبة الضباط الجزائريين في المعسكر الفرنسي، والفريق الثاني هم عسكريون بسطاء من عموم الشعب كانوا في الجيش الفرنسي، لكنهم تراجعوا عن مواقعهم وقرروا ان يلتحقوا بكل عفوية بالثورة، فلم تكن لهم حسابات استراتيجية او مخططات سياسية، وقد استقبلنا الكثير منهم في ولايتنا مثل باقي النواحي، فكانوا يفرون بلسلحتهم وبعضهم تسلل الى صفوف المجاهدين في قلب المعركة مع العدو، هؤلاء في العموم كانوا يندمجون عن طريق وساطات واتصالات مسبقة، وسوف اذكر لك قصة مؤثرة تعكس صدق نواياهم، فقد التحق بنا ثلاثة شبان يوم 1958/09/18، احدهم شاوي من القليعة ينحدر من ولاية خنشلة، فتوجهنا يوم الغد أي 19 سبتمبر للقيام بعملية رمزية استعراضية بمناسبة تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة، فنصبنا كمينا لقوات العدو، كان تقديرنا ان نواجه 4 إلى 5 شاحنات، فلذا بنا نجد انفسنا امام قرابة 40 شاحنة من الجنود، فجرح من المجاهدين خمسة افراد ثم استشهدوا جميعهم، لا زلت احتفظ بصورهم واسمائهم فردا فردا، وكان من بينهم هذا الشاب بلقاسم الذي انضم إلى صفوف الثورة قبل 24 ساعة فقط، فكانت خاتمته الشهادة لصدق نيته واخلاصه للوطن.

ماذا الان عن النخبة العسكرية التي كانت موالية لفرنسا قبل أن تلتحق بالثورة؟

فيما يخص هذه الشريحة، في الحقيقة انا اقدم لك وجهة نظري فقط[5]، لاني لا أعلم كل تفاصيل اندماجها، فهم التحقوا بالثورة عبر جيش الحدود، ولم يكونوا ابدا جزءا من مجاهدي الداخل والولايات، وبالتالي قناعتي الخاصة، أن فرنسا في المرحلة الثالثة (ماي 58 إلى مارس 62)، كيفت استراتيجيتها العسكرية والسياسية وفق الامر الواقع القائم على استقلال الجزائر على المدى القريب، وبمقتضى ذلك، منحت الاستقلال لمستعمرات إفريقية بناء على "طلب خطي"، وتشكلت لديها تجربة من خلال تلك الدول الإفريقية التي ظلت حكوماتها الجديدة تابعة لها بالمطلق، لانها قامت باستدعاء نواب في الجمعية العمومية وكلفتهم بإدارة شؤون بلادهم الإفريقية.

---

[5] تملص واضح من الاجابة

من هنا توجه اناذاك التفكير الفرنسي الى الاستثمار في العنصر البشري بدل استنزاف قواها العسكرية والاقتصادية في حروب الاستعمار التقليدي، لذا اعتقد ان التحاق هؤلاء الضباط الجزائريين بالثورة ربما يندرج ضمن هذه الرؤية الاستراتيجية، التي تهدف الى الاستفادة من ولاء وخدمات تلك النخبة في المستقبل، والفرق هنا، هو أن المخطط الفرنسي في الجزائر كان على المدى البعيد (في غضون 20 إلى 30 سنة) لانها واجهت تراكمات ثورة شعبية عارمة، في حين وضعت برنامجها في الدول الاخرى بشكل علني ومباشر، كان يفترض واقعيا ان تبدا المفاوضات عام 1957 بعد سقوط الجمهورية الثالثة والاطاحة بثلاث حكومات متعاقبة بفعل بلثير ضربات الثورة الجزائرية، لكن فرنسا اخرت فتح القضية، حتى تتيح لنفسها وضع لبنات برنامجها المستقبلي، ولانها تعلم ان العمود الفقري لاي ثورة بعد التحرر هو الجيش الوطني، فركزت على اختراقه والتغلغل في دواليب المؤسسة العسكرية، دون ان تغفل القطاع الاداري، الذي ورث 10 الاف من الموظفين المفرنسين في غياب شبه تام للاعوان المعربين الذين يمكنهم بناء مؤسسات تنسجم مع قيم ومبادئ الثورة التحريرية في ابعادها الثقافية والاجتماعية.

Khalid jokr